على المفكرين العرب أن ينزلوا إلى الواقع

كمال بومنير: النخبة يمكنها أن تعيد للفلسفة مكانتها

يعد كمال بومنير، أستاذ التعليم العالي بقسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية، بجامعة الجزائر، من الجزائريين القلائل الذين يولون أهمية كبرى في مؤلفاتهم تأليفا وترجمة للفلسفة التي تكاد تكون شبه منعدمة في مجال النشر. في هذا الحوار مع "العرب" يشرح أسباب ذلك وخلفياته وأبعاد نكوص الفلسفة وانكفاء المشتغلين عليها في زوايا خاصة، ويعطي وجهة نظره الفلسفية في الحراك وعدد من قضايا أخرى.

أبوبكر زمال
كاتب جزائري

يزخر منتج الباحث كمال بومنير بالتنوع من التأليف إلى الترجمة، حيث يشتغل بصمت وسكينة منعزلا في ملاذات التأمل المنتج، يصقل العقل ويجعله يبصر وسط الظلام، وبقدر ما يستعيد تلك اللحظة الجميلة بقدر ما يعرف أن رهانات التموقع صعبة وشائكة خاصة في حقل الفلسفة الذي يبدو خافتا في مجمع الفكر إلا أن اهتمامه بالأمر خاضع لاعتبارات عدة.

في حديثه لـ"العرب" يقول بومنير "إنّ اهتمامي بالحقل الفلسفي، واشتغالي بالنظرية النقدية على وجه الخصوص، كان بغرض الإسهام في تأسيس خط نظري نقدي من داخل النظرية النقدية، مستفيدا من جهازها المفاهيمي، ومن مقولاتها وتحاليلها النقدية، ومن مقاربتها للقضايا والإشكاليات الفلسفية المتنوعة، ضمن رؤية كلية ترتكز على ما يسمى بالتحاقل المعرفي، غير أنني – وفي الوقت نفسه – حاولت بقدر الإمكان الابتعاد في أعمالي وكتاباتي ومداخلاتي عن المنطلقات والخلفيات والأبعاد الأيديولوجية الضيقة التي أطرت ووجهت العديد من دراساتنا الفلسفية العربية بصورة سلبية وغير مجدية، في ما يخص قضايانا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ووضعنا الحضاري والتاريخي".

الفكر النقدي

يعتقد كمال بومنير أنّ أعماله وكتاباته المتخصصة في النظرية النقدية، وفي الفن والجماليات، والتي خصص لها عدة كتب (تأليفا وترجمة) تعتبر إسهاما فلسفيا يضاف إلى إسهامات غيره من الباحثين والأكاديميين العرب الذين سبقوه في هذا المجال. وأمله أن تسد أعماله الفلسفية بعض النقص الذي تعاني منه مكتباتنا العربية من دراسات وأعمال متخصصة في النظرية النقدية أو في حقل الجماليات المعاصرة والفنون الجميلة، وأن تسهم في إثراء وتعميق النقاش الفلسفي الراهن.

> الخلفيات والأبعاد الأيديولوجية الضيقة أطرت ووجهت العديد من الدراسات الفلسفية العربية بصورة سلبية

ما زال الدرس الفلسفي لم يأخذ مكانه داخل المجتمعات العربية في مجملها، وهي التي تتنكر للعقل في عمومه، وترضخ للتقليد ومسيطر عليها فكر دوغمائي مستكين لا يسأل ولا يثير، وهو وضع يقول عنه بومنير "مترد ومتدهور إلى حد بعيد رغم الجهود المبذولة في العديد من هذه البلدان. والحق أنّ معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذا التردي والتدهور تتطلب الشروع في القيام بدراسات جادة يشرف عليها متخصصون ذوو خبرة في الحقل الفلسفي لمعرفة الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تعثر الدرس الفلسفي، وخاصة في السنوات الأخيرة، بالمقارنة مع وضعه المقبول عموما في الفترات السابقة".

ويضيف "عديدة هي الأسباب أو العوائق التي تحول دون نجاح الدرس الفلسفي وتقف حاجزا لتحقيق مقاصده التربوية والبيداغوجية والمعرفية، من أبرزها الأفكار المسبقة التي يحملها البعض عن الفلسفة والتفلسف، متأثرين في ذلك بالآراء السائدة في ثقافتنا الاجتماعية التي تنظر، في كثير من الأحيان، إلى الفلسفة نظرة سلبية، مردها آفة التعقيد والتجريد التي تعرفها الفلسفة، وعدم جدواها في سوق العمل، واتهام كل من يدرسها بالكفر والإلحاد والهرطقة، وغيرها".

آفة التعقيد والتجريد أنهكت الفلسفة

ومن العوائق أيضا وفق بومنير "طرق تدريس مادة الفلسفة الذي أصبح – للأسف الشديد – يغلب عليه طابع التلقين لا التفكير، بحيث يتم استبعاد الطرح الإشكالي والنقدي للموضوعات الفلسفية. لذلك أعتقد أنّ الدرس الفلسفي المؤهل ليأخذ مكانه في المجتمعات العربية عموما، والمجتمع الجزائري خصوصا، هو الدرس الذي يعطي الأولوية للبعد النقدي، بمعناه الواسع، لكونه يحمل وظيفة فلسفية وتاريخية يمكن أن تسهم في نقل هذه المجتمعات من وضعها المنفعل إلى وضعها الفاعل والفعّال على كل المستويات (المعرفية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الثقافية، الحضارية) للخروج من وصاية الغير والتبعية للآخر".

ولعل هذا "ما كان يقصده الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط في مقاله الموسوم بـ'ما الأنوار؟'، حينما كان بصدد الحديث عن أهمية ممارسة النقد الفلسفي، وهو خروج الإنسان من قصوره وعجزه عن استخدام عقله بعيدا عن وصاية الغير. لذلك كان لزاما على المجتمعات العربية ترسيخ حضور الفكر النقدي الواعي بزمانه الثقافي والحضاري".

في حديثه عن بوادر بروز نخبة فلسفية عربية يمكنها أن تعيد للفلسفة مكانتها في النسيج العام للفكر، يقر بومنير بصعوبة ذلك في الوقت الراهن، حيث أنّ "بروز نخبة فلسفية عربية وتفعيلها للعمل الفلسفي النقدي في الفضاء العمومي العربي الراهن مسألة جد عويصة ومعقدة ومرتبطة بجملة من الشروط والآليات المعرفية والسياسية التي تسمح بنقل الخطاب الفلسفي إلى خيارات فكرية جديدة".

وهو ما سيسمح كما يقول بإمكانية أن "تسهم في تحقيق نقلات نوعية ضمن سياقات فضائنا العمومي الاجتماعي والسياسي والثقافي والحضاري، بغية تحقيق حضوره الكوني الدائم ومشاركته الفعالة في النقاشات الدائرة اليوم حول العديد من القضايا والمسائل المطروحة على المستوى الإنساني. لذلك، أعتقد أنه إذا توفرت هذه الشروط والآليات يمكن لهذه النخبة أن تعيد للفلسفة مكانتها في النسيج العام للفكر، ومن ثمة تسجل حضورها في هذا الفضاء".

الفلسفة والواقع

يرى أستاذ الفلسفة أن سؤال تأثير الكثير من المدارس الفكرية الغربية على الكثير من المفكرين ليس بالأمر السهل، وذلك نظرا إلى عدة أسباب أدت كما يقول "إلى ما نسميه بالعودة إلى المدارس الفلسفية الغربية، سواء عن طريق عملية الترجمة ونقل النصوص إلى المجال التداولي العربي، أو على مستوى التطبيق والممارسة، في ما يخص الكثير من المواضيع المتعلقة بالقضايا والمسائل والإشكاليات المعرفية والعملية".

ويتابع "لكنني أكتفي هنا بذكر أهمها؛ أعتقد أنه لا يمكننا إنكار الحقيقة التالية: وهي أنّ الفلسفة عرفت تطورا وانتعاشا منذ العصر الحديث في العالم الغربي الذي حقّق إنجازات معرفية هائلة، من حيث التراكم المعرفي الذي كان بمثابة قفزة نوعية في تاريخ الفلسفة، وهو الأمر الذي يتجلى – كما هو معلوم – في تلك الاتجاهات والمذاهب والنظريات التي شهدها الفكر الفلسفي الغربي (العقلانية، التجريبية، المثالية، المادية، الوضعية، النقدية، التاريخانية، إلخ)".

وواضح كما يؤكد أن "واقعنا العربي – الإسلامي لم يعرف مثل هذه التراكمات المعرفية التي حققها الغرب. لذلك بقي المفكرون العرب في حاجة إلى التفكير في قضاياهم وإنتاج خطاباتهم الفلسفية بالرجوع إلى المدارس الفلسفية الغربية واستلهام اتجاهاتها، كما هو الحال مع العديد من الباحثين العرب المعاصرين الذين تأثروا بهذه المدارس الفلسفية الغربية. ولعل أهم التحديات التي يواجهها هؤلاء الباحثون تتمثل في مدى إمكانية تأسيس فلسفة عربية أصيلة يمكن أن تحقق الإبداع المطلوب".

ويعتقد بومنير أن الجهد الفكري والفلسفي الذي أنتج خلال هذه السنوات في العالم العربي الإسلامي والذي ما زال حبيس أدراج التنظير والمخابر والجامعات والمعاهد المتخصصة هو مسألة شائكة ويحتاج أيضا، كما يشير إلى "جهد فكري وفلسفي أيضا لفهمه وتفسيره في بلادنا، لأنّ مثل هذه المسائل لا يمكن أن نجيب عنها إلا بواسطة كتاب. ولكن ومع ذلك، أقول بإيجاز شديد، إنّ غياب الفكر الاستراتيجي داخل مؤسساتنا لا يسمح – والحق يقال – بالتفكير الجدي والعملي في وضع آليات تسمح بنقل الجهد الفكري والفلسفي الذي تم إنتاجه في الجامعات والمخابر والمعاهد المنتشرة في كل ربوع الوطن، وبقي في أغلب الأحيان، للأسف الشديد، حبيس رفوف مكتبات الجامعات دون تفعيل وتوظيف على أرض الواقع".

ويقترح أن ينزل المفكر أو الفيلسوف إلى "أرض الواقع لتفعيل هذا الفكر الاستراتيجي الذي أصبح على قدر كبير من الأهمية في الانتقال من عالم الأفكار إلى عالم الوقائع، وفي دفع حركة الأفكار نحو تطبيقها وممارستها عمليا بغية تحقيق انصهار بين النظرية والممارسة على كل المستويات (السياسية، الاجتماعية، التربوية، الثقافية، إلخ)".

لا يعتقد كمال بومنير أن الحراك الذي شهدته الجزائر سيحدث نقلة نوعية من أرض إلى أرض، ولا يرى أي دور يمكن للنخب أن تلعبه في تأطير هذه الموجة العارمة، فالحراك كما يشير "يُعتبر منعطفا مهما في تاريخ الجزائر المعاصرة، وفي حياة الشعب الجزائري الذي اختزن كما هائلا من المكبوتات السياسية والاجتماعية والفكرية خلال تحكم وهيمنة منظومة سياسية لم تحسن تدبير شؤون البلاد وعجزت عن ضمان تقدمها وازدهارها.

الرواية عين ثالثة للقارئ والكاتب والباحث معا

عمان – من عوالم الرواية يذهب بنا الروائي والناقد السوري هيثم حسين إلى فضاءات النقد، حيث يقدم كتابا جديدا بعنوان "لماذا يجب أن تكون روائيا؟" وهو دراسة نقدية يشير من خلالها إلى أن الرواية الحديثة تستفيد من تطوّر العلوم الاجتماعيّة والفلسفيّة والنفسيّة لدراسة المجتمعات التي تعالج واقعها، أو تغوص في دواخل شخصيّات منحدرة منها، ذلك أنّ البيئة الاجتماعيّة تلقي بظلالها التي تتقاطع لتساهم في بلورة صورة المرء المنتمي إليها.

ويقول في تقديمه لكتابه، الصادر حديثا عن دار خطوط وظلال للنشر في العاصمة الأردنية عمان، إنّ الرواية تساعد على تقريب الصورة العامة، من خلال التركيز على صور قريبة، ومشاهد محدّدة بدقّة، يتعمّق الروائيّ في تصويرها وتوصيف ملابساتها وتأثيراتها، الدوافع التي تقود أصحابها، والوساوس التي تسكنهم حين الرضوخ لدافع يتسيّد ويقود دون آخر قد يتراجع، ومن خلال تقريب الصورة الاجتماعية والتاريخية فإنّها تساهم في زيادة فهم المجتمعات التي تعالج واقعها وتاريخها.

ويلفت حسين كذلك إلى أنّ الرواية تكون بمعنى من المعاني العين الثالثة للقارئ، وللكاتب، وللباحث معا، وذلك من تظهيرها الأفكار المطمورة في الداخل، وكشفها أسرارا لا يراد توثيقها وإشهارها، وكأنّ من شأن إبقائها سارحة ومتداولة بين أبناء المجتمع شفهيا أن تنسى، في حين أن توثيقها روائيّا يرفع عنها احتمال النسيان ويوطّنها كعلامة من علامات المجتمع الدالة على ذهنيّته. اشتمل الكتاب على عدد من الفصول، منها: الرواية قضية إنسانية، الرواية والأوبئة.. كيف رسمت الفايروسات مسارات البشر ومصائرهم؟ أقنعة الأنا ومرايا الآخر روائيا، الرواية وفن العيش، الرواية.. بناء على بناء، الرواية والزمن.. كيف يؤنّث الروائيون أزمنتهم المتخيّلة؟ الرواية والمكان.. مدن منكوبة وفراديس متخيّلة، ترويض الأزمات والحروب روائيا، الرواية ولعبة الثنائيات، جماليات وفنيات.

ونذكر أن هيثم حسين كاتب وروائي سوري، من مواليد عامودا 1978، مقيم في لندن، عضو جمعية المؤلفين في بريطانيا، عضو نادي القلم الإنجليزي، عضو نادي القلم الإسكتلندي. مؤسّس ومدير موقع الرواية نت. نشر في الرواية "آرام سليل الأوجاع المكابرة"، "رهائن الخطيئة"، "إبرة الرعب"، "عشبة ضارّة في الفردوس"، "قد لا يبقى أحد".

> «لماذا يجب أن تكون روائيا؟» كتاب نقدي يقدم صورة متكاملة لفن الرواية الحديثة بمختلف عناصرها ومكوناتها

وفي النقد الروائيّ قدم حسين العديد من المؤلفات من بينها "الرواية بين التلغيم والتلغيز"، "الرواية والحياة"، "الروائيّ يقرع طبول الحرب"، وغيرها. بينما صدرت له ترجمة عن الكردية لمجموعة مسرحيات بعنوان "مَن يقتل مو..؟" للمؤلف بشير ملا، وأعدّ وقدّم كتاب "حكاية الرواية الأولى".

بسبب كورونا هل انتهى عصر الجماهير

تطوان (المغرب) – تنظم دار الشعر بتطوان ندوة فكرية عن "الشاعر وجمهوره: نحو مقامات جديدة لتداول القصيدة"، بمشاركة الكاتب والجامعي حسن بحراوي والبلاغي والأكاديمي الحسين بنوهاشم والشاعرة إيمان الخطابي.

وتقام هذه الندوة عن بعد، بجمهور افتراضي، وتبث الثلاثاء 28 يوليو الجاري، على منصات وقنوات التواصل الاجتماعي.

ترد هذه الندوة في سياق جائحة كورونا، وارتباطا بتداعياتها وآثارها على المشهد الثقافي والفني، وانعكاساتها على الاجتماع الثقافي بشكل عام، ما دامت الجائحة قد صادرت التظاهرات الثقافية والمشهدية والفكرية، ومنعت اللقاء المباشر بين الجماهير والمبدعين والمثقفين في فضاءات الفرجة والأمسية والندوة والعروض الفنية والفكرية سواء بسواء.

أسئلة كثيرة تثيرها الندوة من قبيل هل انتهى عصر الجماهير؟ وهل صرنا أمام جمهور افتراضي، ونفسي، أكثر منه جمهورا اجتماعيا وواقعيا؟ وهل فرغ الفضاء العمومي من محتواه، بغياب الشاعر وجمهوره، والمثقف ومتلقي معارفه، والفنان ومستقبل أعماله؟ ومقابل ذلك، ما الذي تقترحه علينا المقاربات النقدية والبلاغية في أفق بناء نظرية جديدة لإنتاج الآداب والمعارف والفنون وتداولها؟ وماذا عن الفضاء الرقمي، بوصفه مجالا افتراضيا للممارسة الثقافية والإبداعية؟ هل ينتهي بنا المطاف نحو بناء ثقافة افتراضية لا جماهيرية، يشتغل فيها الكاتب والمبدع والمفكر بمعزل عن العالمين؟

الأصل في الشاعر أن يلقي قصيدته أمام جمهور، في فضاء عمومي أو مساحة شعرية مشتركة، أو من على ركح يواجه فيه الشاعر المسرحي جمهورا حقيقيا. حدث ذلك منذ اعتلى الشاعر خشبة المسرح الإغريقي وقبله، وفي أسواق الشعر العربي وحضرته، وفي حلقات الشعر المغربي، حيث ترددت قصائد الملحون وسواها من التعبيرات الشعرية الشعبية، وصولا إلى الأمسيات والمهرجانات والعروض الشعرية الأدائية المعاصرة.

فكيف للشعر أن يفتقد هذه الطقوس والاحتفاليات، حين نتحدث اليوم عن إنتاج خطابات وبثها "عن بعد"، ودونما جمهور؟ كيف يمكن لبلاغة الشعر أن تتخلى عن بلاغة المقام وفن الأداء لصالح قراءة عن بعد وثقافة عن بعد وتواصل بعد لأي ونأي؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، تستدعي دار الشعر بتطوان المثقف الموسوعي والباحث حسن بحراوي، الذي يجمع بين كتابة الشعر والرواية، إلى جانب شاعرة متألقة هي المبدعة إيمان الخطابي.

> الندوة ترد في سياق جائحة كورونا وآثارها على المشهد الثقافي والفني وانعكاساتها على الاجتماع الثقافي

كما يناقش الضيوف الخطابات التفاعلية وأشكال القراءة المتعددة التي يتيحها الإبحار في وسائط التواصل الجديدة. وهي الوسائط التي منحت النصوص الأدبية والشعرية شكلا جديدا، وقواما مغايرا، من خلال مسميات "الشعر المترابط" و"الشعر الرقمي" و"الشعر المتحرك" وغير ذلك من صيغ القول الشعري الجديدة، من حيث تفاعلها مع القارئ، وتفاعل القارئ مع الجهاز الإلكتروني باعتباره سندا لهذا النص الشعري الجديد، وبما هو أداة للقراءة أيضا.